

العنوان:	الفكر الإصلاحي التحديثي خلال القرن التاسع عشر: الفقيه محمد الكردودي نموذجا
المصدر:	مجلة أمل
الناشر:	محمد معروف
المؤلف الرئيسي:	بنجلون، مراد
المجلد/العدد:	مج25, ع51
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2018
الصفحات:	123 - 136
رقم MD:	1059047
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EcoLink, AraBase, HumanIndex
مواضيع:	الكردودي، محمد بن عبدالقادر، التراجم، الإنتاج الفكري
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1059047

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة.
يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفكر الإصلاحي التحديثي خلال القرن التاسع عشر
الفقيه محمد الكردودي نموذجا

مراد بنجلون *

إن ذخيرة كل أمة وعتادها رجالاتها الذين أسهموا في بنائها وتنميتها، فخُلِّدوا في سجِّلات تاريخها، ومنهم رجال حملوا على عاتقهم ثقل إصلاح وتحديث دواليب حكمها في فترة خطيرة ومصيرية من تاريخ بلدانهم، والقول هنا ينطبق على أعلام عايشوا فترة عصيبة من تاريخ مغرب القرن التاسع عشر حيث نضجت غايات الامبريالية في سلب البلاد حريتها، فبرزت نخبة مغربية رمت توجيه الأمة وتقويم اعوجاجها على ضوء مرجعية دينية شاملة، تحمل في طياتها آليات الإصلاح والتجديد، تستنير بتاريخ حضاري وإنساني مجيد يتناقض مع وضعية الضعف التي عايشوها في بلادهم، فكانت كتاباتهم ودعواتهم واستنكارهم للواقع المتردي خاصة في بداياته برنامجا وطنيا للإنقاذ، وتهيئة للأمة للقيام بدورها في الإصلاح، فأنتجوا كتابات كانت في جوهرها عبارة عن مشاريع تنموية، تستهدف تحليل الأزمة وتقديم سبل الخروج من طوق التخلف، والانفلات من أيدي الاحتلال المتربص، عبر مدخل إصلاحي معياري.

من بين هؤلاء نجد الفقيه العلامة محمد بن عبد القادر الكردودي، رائد الفكر الإصلاحي المغربي، فقد صنفه الفقيه محمد المنوني ضمن الطور الأول من الفقهاء الذين تفطنوا لضرورة الإصلاح الشامل عقب ورود أنباء احتلال المغرب الأوسط وسيطرة الجيش الفرنسي عليه، وتيقن الضعف العسكري المغربي عقب معركة ايسلي. للأسف لم تفرد كتب التراجم المطبوعة التي ترجمت للكردودي مجالا يليق بمكانته العلمية والأدبية، باعتباره من رواد النخبة المغربية الذين ساهموا في محاولة اليقظة المغربية، وباعتباره أحد الموظفين المرموقين الذين خدموا في سلك المخزن الشريف. فما راكمته هذه التراجم من معلومات قليلة لا تفي المترجم حقه، ولا تعطي صورة واضحة عن حياته، فتوج مجهود هذه الدراسة بأن وقفت على ترجمة للفقيه الكردودي قدمت في جائزة الحسن الثاني لسنة 1970م، وهي من إعداد حفيد حفيده محمد بن أحمد الكردودي، وهي الترجمة التي أفادتنا كثيراً في إماطة

* حاصل على الدكتوراه في التاريخ من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمرتيل.

اللثام عن بعض ملامح حياة الفقيه، خاصة بعد أن عضدناها بمجموعة من المصادر المخطوطة والمحققة.[1]

1/ حياة الفقيه محمد الكردودي ونسبه

هو الشريف الفقيه الأجل العلامة الأفضل المشارك الأحفل البركة الأمثل المدرس الأبهر الهمام أبو عبد الله سيدي محمد بن الفقيه العدل الموثق الأفضل سيدي عبد القادر بن الفقيه العلامة الأمثل سيدي أحمد الكلالي -بكاف معقودة- الحسني الشهير بالكردودي.[2] كانت ولادته في رمضان عام ألف ومائتين وسبعة عشر هجرية، كما أشار تلميذه القاضي أبو العباس ابن سودة،[3] في حين أرجع محمد بن جعفر الكتاني تاريخ ولادته إلى عام ستة عشر ومائتين وألف،[4] وكان رحمه الله أحمر اللون رقيق البدن معتدل القامة، حسن المشية، مع أنه كان بإحدى رجليه نقص.[5]

تمتد شجرة نسب المترجم إلى بيت النبوة، وذلك اعتمادا على وثائق عدلية وظهائر شريفة نقلها لنا حفيده، تشير إلى أن جده هو علي بن الولي الصالح سيدي أحمد بن محمد الذي يمتد نسبه إلى إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل، وإلى علي بن أبي طالب. فهو من ذرية مولاي محمد بن عبد الله بن مسعود الكلالي دفين وادي زا، حسبما ورد في ظهير شريف مؤرخ برجب عام ستة وثلاثين وتسعمائة، وتعضدها وثيقة عدلية أخرى شاهدة: بأن جد الولي سيدي محمد المذكور هو الولي الصالح الشهير سيدي محمد بن عبد الله بن مسعود

---

(1) - ومن هذه المخطوطات: مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام لمؤلف مجهول، وتلخيص الابتسام عن دولة ابن هشام، لمحمد بن الحسن الحجوي دراسة وتخريج: عبد الجبار كارح، تحت إشراف الأستاذ مصطفى الغاشي، بحث جامعي قيد النشر، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان سنة: 2017 ومخطوط نزهة الابصار لذوي المعرفة والاستبصار، للعربي المشرفي، المكتبة الوطنية بالرباط رقم ك 579، مخطوط زبدة الاثر مما مضى في القرن الثالث والرابع عشر، للفقيه المؤرخ سيدي عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري، مخطوط امداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والاسناد، للشيخ عبد القادر بن أحمد الكوهن، المكتبة الوطنية بالرباط د-270: ص 54. والكتاب محقق من طرف عبد المجيد خيالي دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة: 2012، ولم يتسنى لنا الحصول على هذه النسخة لذلك اعتمدنا على المخطوطة في الرباط.

(2) - ينظر: أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الكلالي الحسني الشهير الكردودي، **ترجمة العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الكردودي الكلالي**، فرغ من تأليفه في 2 ذي القعدة عام 1370هـ جائزة الحسن الثاني، رقم: 62 ر، علبة 012، الرباط 1970م، ورقة: 2.

(3) - ينظر: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، **فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات**، تحقيق احسان عباس، دار الغرب الاسلامي ، الطبعة الثانية سنة: 1402هـ/1982م ، بيروت لبنان،484/1.

(4) - ينظر: عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، **اتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث والرابع**، ورد في موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، 2595/7.

(5) - ينظر: الصقلي، **ذكر من اشتهر أمره وانتشر ممن بعد الستين من أهل القرن الثالث عشر**، تحقيق أحمد العراقي، 2001 م: ص57.

الكلالي المذكور في سلسلة أجداد هذا البيت النبيل، وبِيَد ذريته ظهائر[1] عليها طوابع المولى الرشيد وأخيه المولى إسماعيل، والمولى عبد الله، وسيدي محمد بن عبد الله، اشتملت "... احترامهم وتكريمهم وتوقيرهم وتعظيمهم وإنزالهم منزلة أمثالهم بإنسابهم للنسب السني والجناب الحسني، قدس الله أرواحهم في دار السلام أمين...". وقد عضد حفيد المترجم هذه الظهائر السلطانية بوثائق لفيفية تشهد بنسبة أجداده للولي الصالح سيدي محمد بن أحمد الكردودي الكلالي الإدريسي الحسني.

والواقع أن إسهاب حفيد الكردودي في سرد وثائق إثبات نسبة الشريف لجده راجع إلى ما أثاره هذا النسب من انتقاد شديد من لدن مجموعة من المترجمين، فالمدعين لهذا النسب هم الشيخ محمد بن عبد القادر وجل أبنائه وأحفاده، [2] وشيخه سيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن، الذي ذكرها في فهرسته،[3] والعلامة سيدي الطالب ابن الحاج في فهرسته المشهورة[4] بالإضافة إلى مجموعة ممن ترجم له وعلى رأسهم محمد بن جعفر بن إدريس، الذي حلاه أثناء ترجمته ب "... الحسني الإدريسي ...". [5] والفقيه العلامة أبي عيسى سيدي المهدي ابن سودة [6] والمؤرخ ابن زيدان،[7] وغيرهم. في حين سقطت عبارة "الحسني الإدريسي" من مجموعة من مصادر الترجمة، التي اكتفت فقط بذكر الكلالي منها: العربي المشرفي،[8] وعبد الحي الكتاني،[9] وعبد السلام بن سودة،[1] وجعفر بن إدريس الكتاني،[2] والصقلي في وفياته،[3]

([1]) - أشار حفيد الفقيه الكردودي إلى مجموعة من الظهائر والرسوم العدلية التي تؤكد انتساب أسرة الكردودي للنسب الشريف ومن هذه الظهائر: ظهير مؤرخ برجب عام 936 هـ بالاضافة إلى وثيقة عدلية مؤرخة بمنتصف صفر الخير عام 1201هـ وسنأتي على ذكرها في سياق الترجمة للمؤلف، ينظر: أحمد بن محمد الكردودي، **ترجمة العلامة الكردودي**، هامش ورقة: 2.

([2]) - وفي هذا الصدد قدم حفيد الشيخ الكردودي اعتمادا على وثائق وظهائر، شجرة نسب الفقيه الكردودي والتي تربط بينه وبين نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، ينظر: أحمد بن محمد الكردودي، **ترجمة العلامة الكردودي**، هامش ورقة: 2.

([3]) - ينظر: محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، **سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني، محمد حمزة بن علي الكتاني دارالثقافة البيضاء: 375/3، عبد القادر بن أحمد الكوهن، **إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والاسناد**، المكتبة الوطنية بالرباط د-270: ص 54.

([4]) - ينظر: الكتاني، **سلوة الانفاس**: 375/2.

([5]) - نفسه: 375/3.

([6]) - ينظر: عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، **مخطوط زبدة الاثر مما مضى في القرن الثالث والرابع عشر**، الموجود في هامش ذيل ترجمة العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الكردودي الكلالي، ينظر: أحمد بن محمد الكردودي، ترجمة العلامة الكردودي هامش ورقة: 6.

([7]) - ينظر: ابن زيدان، **الإتحاف**: 109/2.

([8]) - ينظر: العربي المشرفي، **نزهة الابصار لذوي المعرفة والاستبصار**، الخزانة العامة بالرباط، ورقة: 443.

([9]) - ينظر: الكتاني، **فهرس الفهارس**: 484/1.

وإدريس بن الماحي.[4] مما يطعن في نسبة الشرف لهذه الأسرة وهو ما حاول صاحب سل النصال إثباته في سياق ترجمته لحفيد الشيخ محمد بن عبد القادر، السيد محمد بن أحمد بن عبد القادر الكردودي، مؤكداً وقوع الفقيه محمد بن جعفر الكتاني في خطأ أثناء الترجمة للكردودي حيث قال:"... لما عُرِّف في سلوة الأنفاس بجد صاحب الترجمة الشيخ محمد بن عبد القادر ... حلاه بقوله الحسني الإدريسي الشهير بالكردودي، ثم قال: وذكر في فهرسته أنه كلالي حسني إدريسي. وإني أشك في هذا النسب لأني لم أره منصوصا عليه عند الغير، وإنما الجد المذكور ذكره في فهرسته لنفسه وتبعه صاحب السلوة تصديقا له؛ لحسن نيته من غير بحث ولا مناقشة، والناس مصدقون في أنسابهم ما لم يدعوا الشرف، وقد بحثت مع بضع قبيلهم هل بيدهم حجج على ذلك، فقال ليس بيدنا حجة غير أن الشيخ محمد بن عبد القادر قالها وادعاها في كتبه وهو حجة عندنا، والأمر لله كيف شاء فعل...".[5]

عضد هذا الرأي الفقيه محمد بن عبد الكبير الكتاني، وأكد أن بيت الكردودي من عوام المسلمين، وأن والده عبد الكبير الكتاني في "زهر الآس في بيوتات أهل فاس"، أنزلهم منازلهم، وأعزى ذلك لكونه لم يقف على الدلائل التي تؤكد انتماء هذه الأسرة للعوام ،"... فتعين علي نقل ما وقفت عليه باللفظ، ليتبين للقارئ المنصف حقيقة دعوة شرف هذه القبيلة، وما يدعونه من الدعوى الواهية الباطلة، التي لا تنفعهم لا مع الله ولا مع رسوله ولا مع مخلوقاته ...".[6]

ولإثبات ما أشار إليه محمد الكتاني؛ قدم عدد كبير من الأدلة من بينها:

---

(1) - ينظر: عبد السلام بن سودة، **اتحاف المطالع**، 2595/7.

(2) - ينظر: جعفر بن إدريس الكتاني، **إعلام أئمة الاعلام وأساتيذها بما لنا من مرويات وأسانيدها**، المعروفة: بفهرس فهرسة الكتاني تحقيق محمد بن عزوز، طبعة سنة: 2004 م: ص185.

(3) - ينظر: **وفيات الصقلي**، ص56-57.

(4) - ينظر: إدريس ابن الماحي الإدريس القيطوني الحسني، **معجم المطبوعات العربية المغربية**، طبعه عبد الوهاب بن إدريس بن الماحي، طبعة سنة: 1988م: ص306

(5) - ينظر: عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، **سل النصال للنضال بالاشياخ وأهل الكمال، فهرس الشيوخ**، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الاولى سنة: 1417هـ/1997م، ص13.

(6) - ينظر: محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني (1295هـ/1362)، **تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهر الاس في بيوتات أهل فاس**، تحقيق علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، 454/2.

إيراده مجموعة من الرسوم العدلية تتعلق بالعائلة، تُكَذِّب ادعاء النسبة الشريفة، لأنها لم تتضمن لا "الحسني" ولا "الإدريسي" [1] "... فَجميع تلكم العدول المبرزون، كلهم كانوا مجاورين لأولاد الكردودي العوام ... ومع ذلك لم يَصِفَاهُ بالشرف، وهذا أمر ظاهر للعيان[2]

كما قدم دليلا آخر يتأسس على الأعراف معتبرا: "أن العرف الجاري في حضرتنا الفاسية هذه أجيال، بأن شريف الأصل والنسب إن حج عشرين مرة...لا يقال له الحاج، والعامي إن حج مرة واحدة لمَّا يأتي لفاس يقال له الحاج...فلذلك كان يقال للحاج محمد الكردودي: "الحاج" ولأخيه للأب "الحاج العباس"، محمولين على العرف المذكور، ولكونهم من عوام المسلمين".[3]

ومن جهة أخرى، أشار محمد الكتاني إلى حيازته لكتاب من السيد الحاج العباس الكردودي لوالده به توقيع خال من "الكلالي" و"الحسني"، وأرجع السبب في ذلك لكون العباس "... لا يقدر أن يخاطِبَ والدي بزيادة... ".[4]

انطلاقا من هذه الأدلة وغيرها، يجزم الكتاني بانتماء عائلة الكردودي إلى العوام من فاس، ويسقط عنهم النسب الذي ادعوه، معتبرا استقرارهم في المدينة الفاسية لا يجيز لهم ادعاء هذه النسبة.[5]

وأصل الفقيه الكردودي من كرداد الذي بقبيلة سفيان بالغرب فرقة من بني حسن، وكان جد العائلة الأكبر مستقرا قبل ذلك بجبل بني مدارس مع أبناء عمه بني كلال، وأرجع صاحب تحفة الأكياس بيت الكردودي إلى قبيلة أولاد عيسى وفرقة منها تسمى الكراددة، وفرقة أخرى تسمى بأكلالة،[6] ولهذه القبيلة مصاهرة مع بعض أهل فاس شرفاء وغيرهم.

وتتفق جل مصادر الترجمة[7] على أن وفاة الشيخ محمد الكردودي كانت بسبب مرض يسمى بالشهدة[1] وذلك عصر يوم الثلاثاء حادي عشر رمضان سنة 1268هـ[2] في حين أرجع

([1]) - أثبت محمد بن عبد الكبير بن هشام الكتاني، هذه الرسوم في **ذيل تحفة الأكياس**، ينظر: 2/454-457.

([2]) - ينظر: الكتاني، **تحفة الأكياس**: 2/457-458.

([3]) - نفسه: 2/463.

([4]) - نفسه: 2/463.

([5]) - نفسه، وفيها أدلة أخرى 2/462-464.

([6]) - نفسه: 2/453.

([7]) - ينظر: الكتاني، **سلوة الأنفاس**: 2/376. وفيات الصقلي ص57، جعفر بن إدريس الكتاني، **إعلام أئمة الأعلام وأساتذتها بما لنا من مرويات وأسانيدها، المسماة فهرس جعفر بن إدريس الكتاني**، تحقيق محمد بن عزوز، طبعة سنة 2004: ص186 وغيرها.

عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة تاريخ وفاته إلى الحادي والعشرين من رمضان سنة 1268هـ(3) وقد دفن من الغد(4) قرب الولي سيدي يوسف الفاسي بأعلى القباب بفاس.

2/ أسرة الفقيه الكردودي وعائلته

ينتمي الفقيه محمد بن عبد القادر الكردودي إلى "عائلة حسنية عريقة في المجد والسؤدد ... وأفرادها متمسكون بظهائر علوية منيفة وأخرى لملوك السعديين ... بشفوف بيتهم وسمو مكانتهم، وقد درج منهم رجال أفذاذ طبقوا المغرب ذكرا وشدو له في خدمة المخزن الشريف أزرا، كان فيهم العلماء المدرسون الكبار والقضاة النزهاء الأطهار والأمناء الأخيار، والسفراء الذين خلفوا من ورائهم الذكر المعطار".(5) جدهم الأكبر الولي الصالح سيدي محمد بن أحمد تزوج امرأة تسمى حليمة بنت عبد القادر الدكالي العمري، وخلف معها أربعة أولاد وهم: أحمد وعبد الرحمن وعلي وعبد القادر.(6)

تزوج الفقيه الكردودي السيدة فضيلة بنت الفقيه السيد عبد الخالق العافية، وكانت له زوجة أخرى رزق منهما ثمانية من الأبناء.(7) وعددا يسيرا من الاحفاد جلهم عمل في سلك المخزن الشريف وقد عرف منهم: الابن البكر الكاتب الأديب السيد أحمد بن محمد بن عبد القادر من الكتاب الفقهاء كان في أول أمره عدلا بفاس، وكان يسرد كتاب الحلية بكرسي ظهر منار المسجد الأعظم، ثم انتقل كاتبا مع عامل فاس الباشا الفقيه عبد الله بن أحمد، ثم انتقل كاتبا ببنيقة وزير البحرية الفقيه فضول غريط الأندلسي أيام السلطان المولى الحسن، وعين في عهد المولى عبد العزيز كاتبا مع الباشدور الفقيه أحمد ابن المواز، وتوجه معه في

---

(1) - ينظر: الكتاني، **سلوة الأنفاس**: 376/2. ومرض الشهدة حسب الرواية الشفوية التي أفادنا بها السيد أحمد بن محمد الرحموني المولود سنة: 1925م، والساكن بحي غروزيم بشفشاون هو: مرض جلدي خطير، مجهول السبب، أعراضه بقعة حمراء تشبه في شكلها "شهدة النحل" تتوسع تدريجيا في الجسم مع ثقوب وحكة وإلتهاب وتقيح وارتفاع درجة الحرارة، خطورته تظاهي حسب السيد الرحموني مرض السرطان حاليا، وقد كان منتشرا في مدينة شفشاون وضواحيها، وأدى إلى مقتل العديد من الناس منهم بعض طلبة القرآن الذين كانوا يدرسون معه، أما علاجه فكان دواء يدعى "الزندفور" وهو خليط من الأعشاب يباع عند العشابة.

(2) - الموافق ل 29 يونيو 1852م. وقد قضى بذلك الفقيه الكردودي عمرا قصيرا، إذ لم يتجاوز: 52 سنة.

(3) - ينظر: عبد السلام بن سودة، **إتحاف المطالع**، ص186.

(4) - إدريس بن الماحي، **معجم المطبوعات العربية المغربية**: ص306

(5) - ينظر: أحمد بن محمد الكردودي، **ترجمة العلامة الكردودي**، ورقة 2.

(6) - وردت هذه المعلوملات في الوثيقة الأهلية للتعريف بجد الفقيه الكردودي، الولي الصالح سيدي محمد بن أحمد، ينظر:أحمد الكردودي، **ترجمة العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الكردودي الكلالي**، هامش ورقة 2.

(7) - هذا ما استنتجناه مما ورد عند الكتاني، **تحفة الأكياس**: ينظر: 454/2.

رحلة إلى اسبانيا لمقابلة ملكها.[1] وقد دون أحداث هذه الرحلة في كتاب سماه: التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الإصبنيولية، و توفي عام 1318 هـ ودفن بضريح الوالي سيدي محمد بن الفقيه.[2]

3/ مكانته العلمية

كان الفقيه الكردودي علامة مشاركا مدرسا فقيها نحويا أديبا لغويا بيانيا محققا مدققا فصيحا مشتغلا بتدريس العلم وتقييده، له اعتناء كبير بعلم اللغة والتصريف والطب والعروض والقافية والفقه، وكان يخوض في جل العلوم،[3] دَرَسَ في أمهات الفقه وفي أصوله، وله تقارير مفيدة على المحلي والتلخيص،[4] وأخذ العلم بفاس عن عدة شيوخ لهم قدر في العلم والتحقيق جمعهم في فهرسته منهم: سيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن المتوفى بالمدينة المنورة. صاحب فهرسة تعرف بإمداد ذوي الاستعداد إلى معلم الرواية والإسناد[5] وله منه إجازة. [6] والشيخ أبو الفتح سيدي محمد التهامي بن حمادي الحمادي المكناسي، وقد أجازه عقب استدعاء،[7] والشيخ أبو المحامد سيدي الحاج العربي الدمناتي، وله منه إجازة[8]

([1]) - جعل محمد بن عبد القادر الكردودي ابنه البكر سيدي أحمد بن محمد الكردودي الوصي على إخوته: علال وعبد الرحمن والطاهرة وخديجة وفاطمة سنة: 1268هـ ينظر: الكتاني، **تحفة الأكياس**: 454/2.

([2]) - ينظر ترجمته عند: الكتاني، **تحفة الأكياس**: 454/2، عبد السلام بن سودة، **إتحاف المطالع**، 2822/7، **معلمة المغرب**، قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، تحت إشراف محمد حجي مطابع سلا سنة: 1419هـ/1998م: 6784/20، محمد بن المفضل غريط، **فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان**، المطبعة الجديدة بفاس، الطبعة الأولى سنة: 1347هـ/1927م: ص186-194، عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**: 369/3، أحمد بن محمد الكردودي، **التحفة السنية**: ص2-7.

([3])-ينظر: ابن الماحي، **معجم المطبوعات العربية المغربية**، ص306، عبد السلام بن سودة، **إتحاف المطالع**، 2595/7.

([4]) - العربي المشرفي، **مخطوط نزهة الأبصار**: ص 444.

([5]) - أشار عبد الحي الكتاني: أن تأليف إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد، كان بإسم محمد الطالب وعبد القادر الكردودي، ينظر: الكتاني، **فهرس الفهارس**: 490/1.

([6]) - ينظر: الكتاني، **سلوة الأنفاس**: 375/2، وترجمة العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الكردودي الكلالي، الورقة:3.

([7]) - نص الاستدعاء من انشاء الفقيه محمد بن عبد القادر الكردودي، حسب ما صرح به حفيده أحمد الكردودي حيث ذيَّل نص الاستدعاء بملحوظة:" ... يظهر أن هذا الاستدعاء من إنشاء العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الكردودي، لكونه أول الداعين ولم يحل بما حلي به رفيقاه فيه والله أعلم..." ينظر: الاستدعاء للإجازة لمحمد بن عبد القادر الكردودي، ورقة 2، من الاستدعاء، جائزة الحسن الثاني، رقم: 62، ر، علبة 012، الرباط 1970. فَرَغَ حفيد الكردودي من نسخه في 2 ذي القعدة عام 1372 الموافق 1953م، ويوجد نص الاستدعاء أيضاً عند ابن زيدان، **الاتحاف**: 85/2-87

([8]) - ينظر: الكتاني، **فهرس الفهارس**: 403/1.

وكانت حلقات دروس العلامة الكردودي من الحلقات التي تعرف إقبال عدد كبير من الطلبة، وقد لمع من بينهم علماء كبار اعترفوا له بالكفاءة والمكانة العلمية الرفيعة، وإضافة إلى أنجاله الذين نهلوا منه مختلف العلوم، نذكر من تلامذته: جعفر بن إدريس الكتاني،[1] والقاضي أحمد بن الطالب ابن سودة،[2] ومحمد بن عبد الواحد ابن سودة الفاسي،[3] والقاضي حميد بن محمد بناني، ولكن لم تكن لهم منه إجازة.[4]

4/ وظائفه

من التدريس إلى القضاء: درَّس الفقيه الكردودي بجامع القرويين العامرة مدة طويلة، وأخذ في تدريس العلوم، وكان عمدة المجالس العلمية، حيث كانت تسند إليه الرئاسة في فض المشكلات العلمية العويصة فيجيب عنها بما يشفي بمفاتيح الأفكار والفُهُوم، وكان مهاب الطلعة محترم الجانب مقدس المقام، محبوبا ملحوظا لدى الخاص والعام، حتى أنه إذا حضر مجلس علم أو غيره لم يتقدم أحد للكلام فيه سواه.[5]

وعن توليه القضاء يقول عبد السلام ابن سودة: "...ثم أن الأمير السلطان المولى أبا يزيد عبد الرحمن بن هشام نفذ له خطة القضاء بطنجة وما حولها من القرى والفضاء بعد تدريسه في القرويين، فسار وأحسن السيرة وأزال كل بدعة وجريمة، فما تأخذه في الله لَوْمَةَ لائم، وعمله لله وهو له دائم..."،[6] "...وكان فرضيا حسوبيا ... شديد الشكيمة في دين الله، لا يداهن في الأحكام، مع أن أجناس النصارى بذلك الثغر لا يَحْكُمُ القاضي على من بحمايتهم من المسلمين، وربما مال لأهل الحماية وانحرف عن الشريعة...".[7]

"فلما كانت سنة خمس وستين ومائتين وألف سب نصرانيا مسلما بطنجة وصدع، وضربه بيده وشنع اعتمادا على ظهر من نجم الروم وطلع، وعن بغيه ما قلع، فقام إليه صاحب الترجمة وأقام عليه ما وجب، فكان ذلك عند الكفار والمسلمين لأجل ما ألفوه عجب،

([1]) - ينظر: جعفر بن إدريس الكتاني، **إعلام أئمة الأعلام**: ص185.

([2]) - ينظر: الكتاني، **فهرس الفهارس**: 403/1، **واتحاف أعلام الناس**، لعبد الرحمن بن زيدان 460/1.

([3]) - ينظر: الكتاني، **فهرس الفهارس**: 403/1.

([4]) - ينظر: الكتاني، **فهرس الفهارس**: 403/1.

([5]) - ينظر: أحمد بن محمد الكردودي، ترجمة محمد بن عبد القادر الكردودي، ورقة: 4، عبد الهادي التازي، **جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري**، دار الكتاب اللبناني، سنة: 1972-1973م. بيروت، 811/3.

([6]) - ينظر: ابن سودة، **زبدة الأثر**، ترجمة العلامة الكردودي، ورقة:6.

([7]) - ينظر: العربي المشرفي، **مخطوط نزهة الأبصار**: ص 444.

فوصلت القضية لكبير الروم فاسقط سائر الصلح بينهم وبين المسلمين، وأظهر أن ذلك كان عليه يحوم، ووقع الاستعداد للجهاد في الغرب من سائره، فأطفأ الله تلك الفتنة، وكفى الله المؤمنين القتال وصار الجلال مذيلا بالجمال، محمد الناشر أطفأ تلك النار مع عز الإسلام وارتفاع الأمجاد".[1]

ويشير حفيد الفقيه الكردودي إلى حادث آخر، يتعلق بيهودي محمي " ومن الأحداث التي وقعت له خلال توليه خطة القضاء بالمدينة، حكمه على أحد المحميين اليهود بصفعه علانية، وسعى لنقله لبلاده بسبب تهجمه على بيت الله وسب دين الإسلام جهارا..."،[2]، وكان قبل ذلك قد أمر بترحيل نصراني انتهك حرمة المسجد، وحول نتائج هذه القضية يقول العربي المشرفي: "...فجاءته قضية من قضاياهم فحكم فيها على ذي الحماية موافقة للشرع العزيز، قامت عليه القارعة وعزل عن القضاء بعد مجادلة السلطان إياهم وشده لعضد الإسلام، وصاحب الترجمة وقافا عند الحدود، وله اليد البيضاء في السخاء والجود، وله همة عالية رحمه الله..."[3]

تتوافق رواية العربي المشرفي مع ما جاء به صاحب الابتسام حيث رد سبب عزل الكردودي عن قضاء طنجة إلى القنصل الفرنسي ليون روش، حيث قال:"... من أجله عزل عن سنة القضاء في طنجة الفقيه الأديب السيد محمد بن عبد القادر الكردودي، بسبب أنه عاقب يهوديا من يهود طنجة في مقالة صدرت منه في حق النبي عليه الصلاة والسلام، فلما أتوا به إليه ضربه ضربا وجيعا وسجنه، وكان اليهودي في جوار جنس الفرنسيس، فتعصب له الروش وأخرجه من السجن بغير رضى القاضي المذكور..."،[4] زاد محمد بن الحسن الحجوي تفصيلا في أسباب عزل القاضي محمد الكردودي، مرجعاً السبب إلى اصطدام صاحب الترجمة بليون روش مساعد القنصل الفرنسي بطنجة الذي حاول أن يتدخل في شؤون السلطة القضائية ويحد من هيبتها؛ عندما تجرأ فأطلق أحد اليهود كان القاضي الكردودي قد سجنه لأنه سب الإسلام والرسول، وطلب ليون روش فوق هذا بعزل القاضي المذكور، فعزله السلطان فعلا، غير أن السلطان تأثر لذلك وكتب للملك الفرنسي يطلب منه سحب ليون روش من المغرب فسحبته الحكومة الفرنسية بالفعل.[5]

([1]) - ينظر: ابن سودة، **زبدة الأثر**، أحمد الكردودي، **ترجمة العلامة الكردودي**، ورقة: 6.

([2]) - ينظر: أحمد بن محمد الكردودي، **ترجمة الكردودي**، ورقة:6.

([3]) - ينظر: العربي المشرفي، **نزهة الأبصار**: ص444.

([4]) - ينظر: **مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام** لمؤلف مجهول: ص 244.

([5]) - ينظر: الحجوي، **تلخيص الابتسام**، ص: 150-151.

وقد ذهب عبد السلام ابن سودة في تفسيره إلى أن السلطان كافأ الفقيه الكردودي على فعله، وأنه لم يعزله إلا ليرقيه ويقربه إليه، فولاه تعليم وتهذيب الأمراء في القصر السلطاني"... وقرب محمد الكردودي من قصره حيث اصطفاه واختاره للتدريس دون غيره...".[1] ونفس الأمر عبر عنه حفيد الفقيه محمد بن عبد القادر الكردودي، إذ اعتبر أن عمل الفقيه دفع السلطان إلى إجلاء اليهودي عن المغرب حيث قال:"... فكان من نتائج هذه الظاهرة الدينية الشريفة والغيرة الوطنية الإسلامية المنيفة التي ترفع من قدر صاحبها؛ وتكسبه شهرة كبيرة وعزاً ورفعة ومكانة سامية عند الله والناس أجمعين حيا وميتا وهي التي كانت رائدة المترجم الفاضل وهدفه الأسمى في كل مواقفه وفي تدريسه وتأليفه ... أمر السلطان المذكور بنقل اليهودي إلى أرضه وجلائه عن المغرب كله وإيقافه عند حده زجرا لأمثاله ودعا لإضرابه، وقرب المترجم من قصره حيث اصطفاه واختاره للتدريس به دون غيره وتلقين الأمراء...".[2]

وبذلك آب الفقيه الكردودي إلى رسالته الأولى وهي: تدريس العلم لكن هذه المرة للأمراء في القصر السلطاني بمكناس، وبقي فيها إلى أن وافته المنية، وفي هذا الصدد قال عبد السلام ابن سودة:"... ولصاحب الترجمة نصيب من المجد في الحاصل منه العمد، ثم إن السلطان اتخذه لقراءة العلم والتدريس بجوانبه وبنيه، فقربه إليه وهو الرئيس، فهب لمكناسة الزيتون وزاد تعظيما في العيون سنة 1266هـ وهو لا زال في ذلك المكان يقريه النحو والتبيان والله المستعان، وأجزل السلطان صلته، ودوى سقمه وعلته وهو راض بما تبديه القدرة، يوسع له خلقه وصدره وكل ذلك يعلي ويرفع له قدره[3]، ليضيف حفيد الفقيه الكردودي أنه انفرد بتدريس الأمراء دون غيره".[4]

5/ مؤلفاته

خلف العلامة محمد بن عبد القادر الكردودي مجموعة من التآليف المفيدة والمهمة والفريدة في مختلف العلوم والمجالات، تبرهن على طول باعه في العلم ومهارته في المنقول والمعقول والفهم، من فقه وحديث وتراجم وتاريخ وآداب سلطانية بالإضافة إلى قصائد شعرية،[5] ومن أهم مؤلفاته نجد:

في التاريخ

([1]) - ينظر: ابن سودة، **زبدة الأثر**، ترجمة العلامة الكردودي، ورقة:7.

([2]) - ينظر: أحمد محمد بن عبد القادر الكردودي، **ترجمة العلامة الكردودي**، ورقة: 7.

([3]) - ينظر: ابن سودة، **زبدة الأثر**. أحمد بن محمد الكردودي، ترجمة العلامة الكردودي، ورقة: 7.

([4]) - ينظر: أحمد الكردودي، **ترجمة العلامة محمد بن عبد القادر الكردودي**، ورقة: 7.

([5]) - نفسه، ورقة: 4.

الدر المنضد الفاخر، بأولاد مولانا علي الشريف ذوي المحاسن والمفاخر، توجد نسخة مخطوطة منه في المكتبة الوطنية بالرباط،[1] وهو كتاب تاريخ وتراجم، عرف فيه المؤلف بأولاد مولانا علي الشريف جد الملوك العلويين ومؤسس الدولة، مات دون إتمامه، وغاية ما كتبه منه ترجمة السلطان مولانا إسماعيل وقد استوفى الكلام عليها،[2] وأشار بروفنسال إلى أنه على شكل حوليات؛ أجمل فيه المؤلف ما وقع عاما بعد عام من أحداث سياسية ومن وفيات أعيان، أشفع أسماءهم بتحليات تُعَرف ما كان لكل منهم من مزايا وفضائل، واعتبره بروفنسال أنه لمؤلف مجهول لينسبه في النهاية من خلال مجموعة من الأدلة إلى الفقيه محمد بن عبد القادر الكردودي،[3] يقع الموجود منه في نحو الخمسة عشر كراسة يوجد بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1554.

في الآداب السلطانية

كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على الأمة،[4] قام فيه بالدعوة لإصلاح الجيش أسوة بالأوربيين، فقد نبه إلى عناية "الروم (...) بأمر الصفوف، وبالغوا في ترتيبها، وتسويتها بما لا مزيد عليه فجعلوا في المقدمة صفوفا أربعة أو خمسة، صفا وراء صف، تتخللها مدافع كبار".[5]

وفي هذا الصدد كان تأليف كتاب "كشف الغمة"، الذي هو عبارة عن دعوة للاستعداد، توضح مدى تفوق الآخر الأجنبي على العالم الإسلامي وخاصة المغرب في المجال السياسي والعسكري،" فإني لما رأيت أسباب الجهاد قد أهملت، وآلاته قد أغفلت ... ورأيت العدو الكافر ... مد يد عزمه، وكشف عن ساق حزمه، لقتال أهل المغرب الأقصى ... فتوجه لقتاله جيش لا معرفة له بحقائق الحروب وأوصافها، ولا علم عنده بتفاصيل أنواعها وأصنافها ... بل انهزموا جميعا عند اللقاء، واستبدلوا السعادة بالشقاء..."،[6] وطالب بتجاوز هذه السلبيات إيذانا بالمواجهة معه، بقوله: "اعلم أنه يجب عند استكمال آلات الجهاد، وإعداد عدته، ومعرفة ما يحتاج إليه من صفة اللقاء، وهيئته، الإسراع والمبادرة إليه، وتحريض أهل النفوس

([1])- رقمها في المكتبة الوطنية: د- 1584.

([2]) - ينظر: أحمد الكردودي، **ترجمة العلامة محمد بن عبد القادر الكردودي**، ورقة: 4.

([3]) - ينظر: ليفي بروفنسال، **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، سنة: 1397هـ /1977م، الرباط، ص148-149.

([4]) – وهو كتاب قمنا بتحقيقه في رسالة دكتوراه، نوقشت في جامعة عبد المالك السعدي كلية الاداب، بتطوان سنة: 2016.

([5]) - ينظر: الكردودي، **كشف الغمة**: (4/ب) من الأصل.

([6]) - ينظر: الكردودي، **كشف الغمة**: (2/أ ـ 2/ب) من الأصل.

الكريمة عليه، وبيان فضله، وعلو درجة أهله"،[1] معتبرا أن المواجهة دون استعداد عسكري وسياسي وتعبئة شاملة لا تفضي إلا إلى تكرار نفس نتائج نكسة ايسلي.

كتاب كشف الغمة ألفه الكردودي عقب معركة إسلي، يضم مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، وُجد منه خمسة نسخ في خزائن الرباط وتطوان، ولأهميته طبع على الحجر في فاس، وهو في الأصل رسالة موجهة إلى السلطان والأمة، أُلف عقب نكبتي احتلال الجزائر ومعركة ايسلي فكان ردة فعل عليهما، وهو في مجملته عبارة عن حزمة من النصائح جسدت رغبة الفقيه الكردودي بالإسراع في تحديث الجيش وعصرنته بما يستجيب لمقتضيات الفترة العصيبة التي يمر منها المغرب تحديثا ينبثق من منظور ديني، مبتكرا مفهوم "حرب النظام" الذي سيصبح مفهوما أساسيا عند كل المطالبين بالتحديث بعده، ويدل في مفهومه العام ترتيب الجيش وفق نظام تم التَّدْرِيبُ عليه مسبقا، وهو يقابل تَكْتِيكاً عسكريا متجاوزا لا زال ممارسا لعهده، يقوم على الكر والفر، أثبت بالممارسة في معركة اسلي وقبلها فشله وعجزه، وهو بذلك يحاول التأسيس للانتقال من إطار جيش المتطوعة المكون من المجاهدين في سبيل الله بشكل عفوي انطلاقا من مبادرات شخصية تقوم على أساس التطوع وليس الاحتراف، إلى جيش نظامي تصبح فيه الجندية حرفة وصنعة يحضر لها ويؤسس لمستلزماتها من عدة فعالة، وخطط ومكر وكمين بشكل مسبق، بل تعدى مفهوم "النظام" المجال العسكري إلى المجال السياسي إذ رفض الفقيه الكردودي نظام الحكم الفردي، ورَغَّبَ تلميحاً في اعتماد نظام الشورى في الحكم المقرون بالنظام الديمقراطي في أوربا.

في علوم اللغة

حلية العروس، لإضاءة الأدموس ورياضة الشموس من اصطلاح صاحب القاموس، للشيخ الكبير المحقق النحرير أبي العباس سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي رحمه الله،[2] ويشتمل نظم حلية العروس على ثلاثمائة وثمانية وستين بيتا، وهي منظومة في الاصطلاح اللغوي، في أقسام الكلمة والأفعال والأوزان والتصريف.

شرح خطبة ألفية ابن مالك رحمه الله.[3] بدايته: بعد البسملة والتصلية والحمدلة، "... هذا تعليق وجيز على خطبة الفقيه جمال الدين بن محمد بن مالك رحمه الله مختصرا مما اختصر العلامة سيدي حمدون بن محمد البناني، ومقتصرا فيه على مالا بد من ذكره ..."

---

(1) - ينظر: الكردودي، **كشف الغمة**: (72/ب ـ 73/أ) من الأصل.

(2) - ينظر: نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية بالرباط، جائزة الحسن الثاني رقم 62 ر، علبة 012، الرباط 1970، ونسخة أخرى بالخزانة الوطنية بالرباط رقمها: "م د 1323" رمز الوثيقة: A-8-3264، وقد طبع على الحجر بفاس هامش إضاءة الأدموس للهلالي.

(3) - ينظر: نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، جائزة الحسن الثاني رقم 62 ر، علبة 012، الرباط 1970. وطبع على الحجر بفاس في 13 صفحة.

،ونهايته:"... واقتصرت على الآخرة لأنها المهم عند العاقل لبقائها بخلاف مراتب الدنيا فهي فانية والله أعلم بالصواب والله المرجع والمآب، انتهى ..."،[1] يوجد في الخزانة الوطنية، بخط حفيد الكردودي أحمد بن محمد، كما توجد منه طبعة حجرية في ثلاثة عشر صفحة.

في الفهارس

فهرسة الكردودي، وجدنا لها ذكرا عند جل المترجمين مثل: الصقلي في وفياته[2] ومحمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس[3] وعبد السلام بن سودة، في مؤلفيه سل النصال، واتحاف المطالع[4] وعبد الحي الكتاني، مع إشارته إلى أنه لم يقف عليها [5]

في الشعر

وفي هذا الصدد يشير أحمد الكردودي حفيد المترجم أن لهذا الأخير في ميدان الشعر صولة والأدب جولة، حسبما يعلم ذلك من ديوان يحتوي على قصائد هامة منها:[6]

قصيدة: في شيخه عبد القادر الكوهن، **وقصيدة في انتقاد تسلط المحميين وأهل الذمة في البلاد، وما وقع له جراء وقوفه في وجههم**،[7] وأشار إدريس بن الماحي الإدريسي أن للفقيه الكردودي نظم آخر عنوانه: **تحفة القضاة في مسائل الرعاة**، لكن رغم تفتيشي عنه لم أقف عليه[8] ، وله قصيدة أخرى **قرض بها العلامة أبا عيسى سيدي المهدي ابن سودة حاشيته على جمع الجوامع**.[9]

لا يراهن المقال على رسم صورة شاملة لحياة الفقيه الكردودي، ولا يذكر كل الأفكار الإصلاحية التي تناولها في مؤلفاته، أو ذكر أماني المؤلف بإصلاحات جذرية تُخرج المغرب من التخلف، بقدر ما ترنو هذه السطور إلى محاولة تسليط الضوء على شخصية صنفت ضمن

---

(1) - وهو بخط حفيد حفيد المؤلف أحمد بن محمد الكردودي الكلالي الحسني، وتم الفراغ منه في 26 محرم 1370هـ/ نونبر 1956م.

(2) - ينظر: **وفيات الصقلي**، ص57.

(3) - ينظر: الكتاني، **سلوة الأنفاس**: 375/2.

(4) - ينظر: عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، **سل النصال** : ص13، و**إتحاف المطالع**: 2595/7.

(5) - ينظر: الكتاني، **فهرس الفهارس**: 484/1.

(6) - ينظر: أحمد الكردودي، **ترجمة العلامة محمد بن عبد القادر الكردودي**، ورقة: 2.

(7) - ينظر: محمد المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**: 38/1-39.

(8) - ينظر: إدريس ابن الماحي الإدريسي، **معجم المطبوعات المغربية**: ص306.

(9) - ينظر: أحمد الكردودي، **ترجمة العلامة محمد بن عبد القادر الكردودي**: ورقة 2هـ

رواد الفكر الإصلاحي التحديثي في المغرب خلال القرن التاسع عشر، تستحق محاولاتها الفكرية الإصلاحية كل تقدير نظرا لكونها شخصية رائدة، فحق اعتبار أفكار الفقيه الكردودي: "نظريةً للاستعداد" تستمد أسسها من الربط بين مفهومي: المواجهة ومفهوم النظام، ارتباطاً ترادفياً تلازمياً، ضمن حزمة إصلاحات لا يمكن الفصل بين أبعادها، فكانت مفاهيمه الإصلاحية ملمة بدواليب الواقع، ربطت بين العلة والمعلول، ودققت في العلاقة بينهما، فلم يعلل التخلف بأسباب دينية نظرية ليس لها سند قوي وعلمي في الواقع، وبالمقابل لم يحصر تفسير العلة بالواقع فقط، بل حاول المزاوجة بين النظريتين، للوصول إلى تشخيص أقرب إلى الصواب، تمهيداً لتحديد المفاهيم الإصلاحية ذات الجدوى في الحل.